أتحدث في هذه الأبيات عن الجريمة الشنعاء التي حصلت بتونس في ولاية باجة وراح ضحيتها بنت في الخامس عشر من عمرها وجدتها التي قُتلت وهي تحاول الدفاع عن حفيدتها

الشّهيدُ الأخير

زارَني اللّيلُ سائلًا : كم تَبقّى
مِن بُنى الجسمِ بعدَ أن ذابَ شوقَا
_كانَ ظبيًا بداخلِ الصّدرِ يلهو
سَلْ لُيُوثَ الدِّماءِ عمّا تَلَقّى
كانَ قُطنًا مُغمَّسًا في بياضٍ
وهي أمّي تَمَزَّقتْ كي يُنَقّى
كانَ نهرًا مُفجَّرًا من حليبٍ
مِن شراييِنها قد انسابَ دفقَا
ذاكَ صخرٌ بمُهجتي أم زُجاجٌ ؟
ليسَ ذنبي إن اشتهى الفأسُ طرقَا
إنّما الحُبُّ كانتماءٍ لأرضٍ
تحتوي النّفطَ بينما النّاسُ حَمقَى
ما لأجلِ الجراحِ قد جئتُ ...أمّي
أيُّ أرضٍ ولدتِنَي حيثُ أشقى ؟
كنتِ أمًّا فكيفَ للأمِّ تَنسى
أشهُرَ الحملِ وانتظارًا وطلقا ؟

لا تكوني الملوكَ عاثتْ بِ "صنعا "
أو بسوقِ العبيدِ باعتْ " دِمشقا "
كنتِ صدّامنا ....سلي اليومَ اِبنًا
عن عراق الشموخ كيفَ استُرِقّا ؟
رُبَّ شعبٍ كرامَةٌ أو فناءٌ
كيفَ تُهدي يمامةَ التّلِّ طوقَا ؟
باتراتُ السيوفُ مزّقنَ صدرًا
ليس يدري أيسمعُ الليلُ خفقَا ؟
أيُّ نفعٍ إلى الفتى من جنونٍ
كان يحيا مُنعّمًا ماتَ عِشقَا ؟
أين صدقُ الضّميرِ كم كان فيضًا ؟
أين روحُ الشّعورِ كانت أرقّا ؟
أين ما كان في اختلاجاتِ قلبٍ
مذ عرفنا الهيامَ كم كان أنقى ؟
كيف سجنُ الوجودِ للجسمِ غربًا
واندفاعُ الضلوعِ بالسّرِّ شَرقَا ؟
أين عدلُ الحياةِ يقتصُّ منهُ؟
لم ينلْ قاتلُ الجوى ما استحقّا
أيّها اللّيلُ زُرتَني .....كنتَ بردًا
للشّهيدِ الأخيرِ ...أم كنتَ حرقَا ؟
*****
*****

2018/8/26